سامح جبر حتاته

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

عرفنا الله ببعض الحقائق

لقد أبلغنا الله أنَّ ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[١]، وأنَّ ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾[٢]، وطلب منَّا: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[٣]. كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٤]، وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٥]؛ أي إنه قابل للكسر، وقال: ﴿خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[٦] أي في تعب ومشقة.

أي إن حياة الإنسان منذ ولادته حتى موته، سلسلة من العناء؛ فهو يولد بصرخة، ويعيش في كفاح، ويكبر وهو يواجه هموم المعاش، ويشيخ في مرض وضعف. وتكون الراحة عندما نكون في معية الله في الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا نذوق الراحة في ذكر الله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٧]، ونذوقها في الصلاة وهي اجتماع مع الله تعالى؛ ففيها الراحة، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا **بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»[٨]. ونذوق الراحة أيضًا في الصلاة على خير خلق الله، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٩].

وتكون الراحة في الآخرة عند لقاء الله تعالى، إن شاء الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١٠]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[١١]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[١٢].

و﴿خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١٣]، حتى نستطيع عبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ **إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[١٤]، وحتى يختبرنا في أعمالنا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا **لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[١٥]، وحتى نتعارف ونتفاضل بالتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٦].

---

١ سورة النساء آية ٢٨
٢ سورة الأنبياء آية ٣٧
٣ سورة الأنبياء آية ٣٧
٤ سورة الرحمن آية ٣-٤
٥ سورة الرحمن آية ١٤
٦ سورة البلد آية ٤
٧ سورة الرعد آية ٢٨
٨ حديث رقم ٤٩٨٧ – الأدب سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٩ سورة الأحزاب آية ٤٣
١٠ سورة القيامة آية ٢٢-٢٣
١١ سورة عبس آية ٣٨-٣٩
١٢ سورة الغاشية آية ٨-١٠
١٣ سورة التين آية ٤
١٤ سورة الذاريات ٥٦
١٥ سورة الكهف آية ٧
١٦ سورة الحجرات آية ١٣

ولكن ما غرض الله من إبلاغنا بذلك؟ لقد أبلغنا ليُعلِّمنا أنه يعلم طبيعة أنَّه يعلم طبيعة خَلْقِنا؛ فهو الذي خلقنا وهو أعلم بما خلق.

لماذا يختبرنا الله ويبتلينا؟

للابتلاءات هدفان رئيسيان، وهما: تكفير الذنوب ورفع الدرجات، ويندرج تحت كلٍّ منهما صور عديدة ذكرها الله في آيات عدة.

أولًا: الابتلاء لرفع الدرجات

قال سبحانه وتعالى: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ** مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[17] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ**، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» [18].

يريد الله منا أن نتقرب إليه، وكلما تقربنا إليه رفعنا درجة أو درجات، وذلك يتطلب جهاد النفس في سبيل الله. وجهاد النفس هو الأصل الذي يقوّي العبد على سائر أنواع الجهاد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»[19]، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم «...وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ». [20]

ويُطلب منَّا الجهاد والصبر ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ **الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ** وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[21]، و﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ **الْمُجَاهِدِينَ** مِنكُمْ **وَالصَّابِرِينَ** وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[22]، و﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ** بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[23]، و﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ **جَاهَدُواْ** مِنكُمْ وَيَعْلَمَ **الصَّابِرِينَ**﴾[24]، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ** وَاتَّقُواْ اللّهَ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[25].

[17] سورة يوسف آية ٧٦
[18] حديث رقم ٦٥٠٢ – الرقاق – صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
[19] حديث رقم ١٧٢١ – فضائل الجهاد – سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
[20] حديث رقم ٢٤٦٨٥، مسند فضالة بن عبيد الأنصارى – مسند أحمد، موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
[21] سورة التوبة آية ١٦
[22] سورة محمد آية ٣١
[23] سورة البقرة آية ١٥٥
[24] سورة آل عمران آية ١٤٢
[25] سورة آل عمران آية ٢٠٠

وأخبرنا الله بنتيجة هذا الجهاد والصبر: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٦]، و﴿وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢٧]، و﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٢٨]، و﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢٩]، و﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ .... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٠]، و﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٣١]، و﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٣٢].

ويريد الله أن يُظهر ما في القلوب، وأن يميز الذين آمنوا من الكافرين: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ **وَلِيُمَحَّصَ** مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣٣]، و﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * **وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ** وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٤].

ويُطلب منَّا أن نكون صادقين مع الله، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ **وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[٣٥]، ﴿قَالَ اللّهُ **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣٦]، و﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ **أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[٣٧]، و﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا **وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ **فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[٣٨]، و﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٣٩]، و﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٤٠]، و﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[٤١]، و﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[٤٢]، و﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤٣].

واعلم أن الله اختبر خلقه من الإنس والجن، ولم يُستثنَ من الاختبار الرسل، ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ** وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤٤]،

---

[٢٦] سورة العنكبوت آية ٦٩
[٢٧] سورة البقرة آية ٢٤٩
[٢٨] سورة البقرة آية ١٥٥
[٢٩] سورة آل عمران آية ١٤٦
[٣٠] سورة الأحزاب آية ٣٥
[٣١] سورة الزمر آية ١٠
[٣٢] سورة مريم آية ٦٤
[٣٣] سورة آل عمران آية ١٥٤
[٣٤] سورة آل عمران آية ١٤٠-١٤١
[٣٥] سورة التوبة آية ١١٩
[٣٦] سورة المائدة آية ١١٩
[٣٧] سورة الصف آية ٣
[٣٨] سورة العنكبوت آية ١-٣
[٣٩] سورة الملك آية ١٣-١٤
[٤٠] سورة الأنعام آية ٣
[٤١] سورة المائدة آية ٩٩
[٤٢] سورة الأحزاب آية ٥١
[٤٣] سورة الحديد آية ٤
[٤٤] سورة يوسف آية ١١٠

و﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم **مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ** مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[٤٥].

وأيضًا، تعرَّض الأنبياء ومن معهم للابتلاءات، ولكنهم صمدوا أمام ما أصابهم: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ** فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ﴾[٤٦]، و﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ **مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا** وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٤٧].

«نعم، [من بعد ما قنطوا]، سبحان الله! إذا كان اللهُ يُغيثُ عبادَه القانطين بعد قنوطهم مِن سقوطِ الغيث! فما بالُك بالموقن الذي ينتظر غيثَ اللهِ لقلبه كلّ لحظة!»[٤٨].

واعلم أنَّ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٤٩]، وأنَّ هذه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[٥٠].

وأخبرنا الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[٥١]، و﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٥٢]، و﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٥٣].

أي إن جميع خلقه سيمرون بمشاكل، ولكن الذين يتقون الله سيجعل للذين يتقونه مخرجًا، وييسِّر أمورهم، ويكفِّر عنهم سيئاتهم، ويعظِّم لهم أجرًا.

ويذكِّرنا الله بأنَّ مع العسر يسرًا: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥٤].

وبيَّن لنا المقصد بوضوح تام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٥٥]، و﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٦]، و﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٥٧]، و﴿**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾[٥٨]، و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء **بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٥٩]، و﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[٦٠]

---

[٤٥] سورة البقرة آية ٢١٤
[٤٦] سورة آل عمران آية ١٤٦
[٤٧] سورة الشورى آية ٢٨
[٤٨] تعليق من الشيخ / عادل عبد القوى علي، إمام وخطيب مسجد الغفران بقرية أبوصير، إدارة البدرشين أول، مديرية أوقاف الجيزة.
[٤٩] سورة آل عمران آية ١٢٨
[٥٠] سورة الفتح آية ٢٣
[٥١] سورة الطلاق آية ٢
[٥٢] سورة الطلاق آية ٤
[٥٣] سورة الطلاق آية ٥
[٥٤] سورة الشرح آية ٥-٦
[٥٥] سورة محمد آية ٧
[٥٦] سورة الروم آية ٦
[٥٧] سورة يونس آية ١٠٧
[٥٨] سورة يونس آية ٣١
[٥٩] سورة آل عمران ٢٦
[٦٠] سورة الإنسان ٣٠

ثانيًا: الابتلاء لتكفير الذنوب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[٦١]، وأخبرنا الله أنَّه قد يحاسبنا في الدنيا أيضًا، لا في الآخرة وحدها: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[٦٢]، و﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٦٣]، و﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء﴾[٦٤] .

وذلك ليكفِّر عنَّا بعض ذنوبنا قبل يوم القيامة، ولنرجع إليه كلما ابتعدنا عنه.

ولا يكون البلاء بالسيئات وحدها، بل قد يبتلينا الله أيضًا بالرزق الوفير؛ ليرى ما سنفعل به: هل سنشكر الله ونرجع إليه؟ قال تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ** لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٦٥]، و﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٦٦]. وعلينا ألَّا نقول مثلما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾[٦٧].

وإنَّ المصائب التي نمر بها هي نتاج أعمالنا، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٦٨]، و﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ **وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾[٦٩]، وإنَّ كل مصيبة لا تحدث إلا بإذن الله: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧٠]. و﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٧١].

وقد علَّمنا الله ما نقوله عند نزول المصائب، وما يترتب عليه من جزاء: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[٧٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ فِى جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ **حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**».[٧٣]

ذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله أنَّ الابتلاء جزء من التربية الإلهية.[٧٤] وقال إنَّ مولانا ابن عطاء الله السكندري قال في كتابه «الحِكَم العطائية»: «مَنْ لمْ يقْبلْ علَى اللهِّ بِملَاطَفاتِ الإحْسانِ، قيِدُّ إليَهْ بسَلاسِلِ

[٦١] حديث رقم ٢٦٨٧ – صفة القيامة – سنن الترمذى، موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
[٦٢] سورة التوبة آية ٧٤
[٦٣] سورة الزلزلة آية ٧-٨
[٦٤] سورة الجاثية آية ٢١
[٦٥] سورة الأعراف آية ١٦٨
[٦٦] سورة النمل آية ٤٠
[٦٧] سورة القصص آية ٧٨
[٦٨] سورة الشورى آية ٣٠
[٦٩] سورة النساء آية ٧٩
[٧٠] سورة التغابن آية ١١
[٧١] سورة الحديد آية ٢٢-٢٣
[٧٢] سورة البقرة آية ١٥٦-١٥٧
[٧٣] حديث رقم ٨٠٨٧ – مسند أبي هريرة- مسند أحمد، موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
[٧٤] الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، حقيقة الابتلاء وسببه، فيديو على قناة اليوتيوب.

الامْتحِانِ»؛[٧٥] وأضيف إلى ذلك قوله أيضا: «علِم قَلَةّ نُهوضِ العبادِ إلى معُامَلتَهِ، فأَوْجَبَ علَيْهِمْ وُجودَ طاعَتهِ، فسَاقهَمُْ إليَهِْ بسِلَاسِلِ الإِيْجابِ». وجاء في الحديث: «عَجِبَ رَبُكَّ مِنْ قوَْمٍ يسُاقونَ إلى الجنَةَّ بِالسَّلاسِلِ».[٧٦]

ألا يعلم الله وهو العليم؟

نعم الله يعلم، ولكننا لا نعلم حدود وقدرتنا الحقيقية. ألم يمر عليك يوما قلت فيه لنفسك بعد حدث ما: «لم أكن أتصور أني كنت أستطيع فعل ذلك»؟

يجعلنا الله نمر باختبارات مختلفة حتى نُخرج كل ما لدينا من قدرات، ويعطينا فرصًا كثيرة لتصحيح أوضاعنا حتى نكون قد حصلنا على جميع الفرص؛ لأن أعمالنا ستكون **حجة علينا في الآخرة. وقد بدأ أول اختبار لنا قبل أن نُخلق على الأرض، عندما** ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[٧٧].

ويُطلب منَّا أن نثبت لأنفسنا، لا لله تعالى؛ لأنَّه يعلم، أنَّ الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إلينا من آبائنا وأبنائنا وإخواننا وأزواجنا وعشيرتنا، ومن أموال اقترفناها، وتجارة نخشى كسادها، ومساكن نرضاها: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا **أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ** وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٧٨]، ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ** ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[٧٩]، و﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٨٠].

[٧٥] الحكم العطائية، شرح وتحليل، الجزء الثاني، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الحكمة الحادية والستون، صفحة ٣٤٣، طابعة ٢٠٠٣، دار الفكر، دمشق، سوريا.

[٧٦] الحكم العطائية، شرح وتحليل، الجزء الثاني، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الحكمة الحادية والستون، صفحة ٣٤٣، طابعة ٢٠٠٣، دار الفكر، دمشق، سوريا.

[٧٧] سورة الأعراف ١٧٢

[٧٨] سورة التوبة آية ٢٤

[٧٩] سورة محمد آية ٣٨

[٨٠] سورة المائدة آية ٥٤

وهل يحملنا الله فوق طاقتنا؟

أخبرنا الله أنَّنا لسنا مكلَّفين بما يفوق قدرتنا، مهما بدا لنا أنَّ ما نحمله يتجاوز طاقتنا: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٨١]، و﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٨٢].

وأعطانا الله الدعاء وسيلةً أخرى تعيننا، وعلَّمنا صيغًا للدعاء، منها: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا **وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ** وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٨٣].

وأعطانا الله تعالى أداةً أخرى تساعدنا على الوصول إلى حالة الرضا، وهي التسبيح في أوقات معينة؛ لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ **لَعَلَّكَ تَرْضَى**﴾[٨٤].

وكان التسبيح سببًا في نجاة سيدنا يونس عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ** * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٨٥]، وكان عليه السلام يقول: «**أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**»؛ لقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ **أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٨٦].

ومن صيغ التسبيح الأخرى المحببة إلى قلبي: **«سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»** لقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[٨٧]، وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٨٨].

وهناك وسيلة محورية في حياتنا، ومن دونها نكون دائمًا في حالة نقص، وهي المداومة على الصلاة والسلام على الحبيب، سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

والحقيقة أنَّ هذه الوسيلة أمر من الله تعالى؛ إذ قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٨٩].

وقد علَّم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الصلاة الإبراهيمية، وأضفت إليها جزءًا من دعاء وارد في أذكار الصباح والمساء، فأصبحت الصيغة:

> **اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد، وسلم تسليماً كثيراً: في كل لمحة ونفس،**

[٨١] سورة البقرة آية ٢٨٦
[٨٢] سورة الكهف آية ٤٩
[٨٣] سورة البقرة آية ٢٨٦
[٨٤] سورة طه آية ١٣٠
[٨٥] سورة الصافات آية ١٤٣-١٤٤
[٨٦] سورة الأنبياء آية ٨٧
[٨٧] سورة الحجر آية ٨٩
[٨٨] سورة الحاقة آية ٥٢
[٨٩] سورة الأحزاب آية ٥٦

عدد ما وسعه علم الله، دائما بدوام الله، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وعدد كمال الله وكما يليق بكماله.

ويُطلب منَّا أن نصلي على الحبيب صلى الله عليه وسلم تنفيذًا لأمر الله تعالى، مع استحضار النية قبل الصلاة عليه. وقد كتب أولياء الله الصالحون صيغًا كثيرة للصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم، ومن الصيغ المحببة إلى قلبي:

«اللهم صلِّ صلاةً كاملةً، وسلِّم سلامًا تامًّا على سيدنا محمد، الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتُقضى به الحوائج، وحسن الخواتيم، ويُستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه، في كل لمحة ونَفَس، بعدد كل معلوم لك».

«اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، صلاةً تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها عندك إلى أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا».

«اللهم صلِّ على سيدنا محمد، صلاةً تحسُن بها الأخلاق، وتتيسر بها الأرزاق، وتُدفع بها المشاق، وتملأ الآفاق، وعلى آله وصحبه، وسلم صلاةً دائمةً من يوم خلقت الدنيا إلى يوم التلاق، واسترنا ما بين يديك، إنك أنت العزيز الخلَّاق».

وأخيرًا: السجود لله مع الدعاء.

قال تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٩٠]، وأنت في سجودك، ادعُ الله على يقين، وقل: «**اللهم إنك أنت المغيث، فأغثني**». وكرِّرها حتى ينفرج كربك، ويطيب خاطرك، ويزول همك.

قال تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٩١].

ولكن لماذا نشعر أحيانًا أنَّ الله يحمِّلنا ما لا طاقة لنا به؟

هناك أسباب عديدة، منها:

١. ليقيم الله علينا الحجة

هل سنحاول حمل ما حُمِّلنا إياه، أم سنتمرد؟

قد يعيننا الله على حمل ما نظن أنَّه يفوق طاقتنا؛ إذ يخفف أثر الحِمل علينا إذا رضينا بقدر الله وحاولنا تحمُّله. قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٩٢].

٢. لكى نكتشف قدرتنا الخفية

قد نكتشف قدرتنا الخفية التي نجهلها إذا قررنا مواجهة الحِمل بدلًا من الهروب منه.

[٩٠] سورة الحجر آية ٩٨
[٩١] سورة النمل آية ٦٢
[٩٢] سورة الرعد آية ٣٩

٣. لزيادة قدرتنا

يقال: «ما لا يقتلك يقوِّيك.«

ويعلم ممارسو الرياضة هذا الأمر جيدًا، ويعرفون أثر الألم في تقوية العضلات؛ إذ تصاحب كل زيادة في القوة آلام مؤقتة.

٤. ليقيم الحجة على من حولنا

فالابتلاء ليس اختبارًا لنا وحدنا، بل هو أيضًا اختبار لمن حولنا.

لطف ربنا وعدله

أعطانا الله وسائل عدة للتعامل مع ما سنواجه، ومن أهمها الصبر والصلاة.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٩٣]، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٩٤]، و﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٩٥].

وأخبرنا الله أنَّه إذا آمنا به واستقمنا، فإنَّ الملائكة تتنزل علينا في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا **تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ** أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[٩٦].

الخاتمة

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٩٧]، و﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٩٨].

وقال لقمان لأبنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١٠٠].

فكل شيء يحدث بإذن الله، وعلينا التسليم لأمره تعالى وقدره؛ لأننا مسلمون.

٩٣ سورة البقرة آية ٤٥
٩٤ سورة البقرة آية ١٥٣
٩٥ سورة البقرة آية ١٥٥
٩٦ سورة فصلت آية ٣٠-٣١
٩٧ سورة الذاريات آية ٥٥
٩٨ سورة الحديد آية ٢٢-٢٣
٩٩ سورة لقمان آية ١٧
١٠٠ سورة البقرة آية ٢١٦

ثم تأتي قصة الرجل وحصانه، التي رواها الإمام الشعراوي (كما يُروى):
كان رجل يملك مزرعة للخيول، وكان يحب أحد خيوله كثيرًا. وفي أحد الأيام، هرب الحصان.
جاء الناس يواسونه قائلين: «يا للخسارة، هذا شر كبير!».
فقال لهم الرجل بهدوء: «ومَن قال إن هذا شر؟».

وبعد مدة، عاد الحصان ومعه مجموعة من الخيول الأخرى.
فتجمع الناس مرة أخرى وقالوا: «ما أسعد حظك! هذا خير.«!
فابتسم وقال: «ومَن قال إن هذا خير؟».

ثم امتطى ابنه أحد الخيول الجديدة، فسقط وكُسرت ساقه.
فعاد الناس يقولون: «هذا شر كبير.«!
فقال لهم: «ومَن قال إن هذا شر؟».

وبعد ذلك، قامت حرب، وأخذوا جميع الشباب القادرين على القتال، إلا ابنه؛ لأن ساقه كانت مكسورة.
فهتف الناس: «هذا خير.«!
فرد عليهم بالثبات نفسه: «ومَن قال إن هذا خير؟».

الحكمة: لا تتعجل الحكم على أي شيء يحدث لك.
قد يأتي الخير في صورة «مصيبة»، وقد يأتي الشر في هيئة «نعمة». وما يكسرك قد يحميك، وما تفقده قد يكون بابًا للرحمة.
اهدأ، واترك الأحداث تجري في مجراها؛ فربنا يدبِّر لنا خيرًا مما نتخيل.

«إنَّ أعجب ما في الإنسان أنَّه يقضي عمره يطارد ما يريد، ثم يكتشف متأخرًا أنَّ ما يريده لم يكن ما يحتاج إليه، وأنَّ الطريق الذي بكى لأنَّه فاته كان سيُهلكه لو سار فيه.

نحن، في الحقيقة، لا نعيش داخل أقدارنا فحسب، بل نعيش داخل حكمة أعظم منَّا؛ حكمة لا نراها ونحن في قلب الأحداث، ولكننا نلمحها حين تنكشف لنا الأمور، وكأنَّ الزمن نفسه يشرح لنا الدرس بعد أن نكون قد ذرفنا دموعنا كلها.

نظن أنَّنا نختار، ونخطط، ونتمرد، ونتمنى لو كنَّا في زمن آخر أو حياة أخرى. غير أنَّ الحقيقة التي يخجل كثيرون من الاعتراف بها هي أنَّ الإنسان لم يُخلق ليختار الزمان والمكان، بل ليُختبر فيهما.

يريد كل واحد منًّا ذاكرة خالية من الوجع، وحياة بلا منغصات، وطريقًا مستقيمًا لا عثرات فيه. غير أنَّ المراد لنا شيء آخر تمامًا؛ فالله يريد لنا أن نتعلم، وأن ننضج، وأن نرى ضعفنا، وأن نفهم معنى التوكل، ومعنى أن تعتمد أرواحنا عليه، لا على ظروفنا.

كل واحد منا يريد ذاكرة خالية من الوجع، وحياة بلا منغصات، وطريقًا مستقيمًا لا عثرات فيه. لكن ما يُراد لنا شيء آخر تمامًا: الله يريد لنا أن نتعلم، أن ننضج، أن نرى ضعفنا، أن نفهم معنى التوكل، ومعنى أن تعتمد روحك عليه لا على ظروفك.

ومن أجمل ما في القدر أنَّه لا يناقشنا؛ فلا يستأذننا قبل أن يغيِّر طريقنا، ولا يستشير رغباتنا قبل أن يضعنا في امتحان جديد. وكأنَّه يقول لنا بصوت لا يُسمع: «دعك مما تريد؛ فهناك شيء أعظم ينتظرك».

الرغبة البشرية قصيرة النظر، لا ترى إلا الكسب العاجل. أمَّا تدبير الله، فيحيط بما وراء اللحظة، وبما لا نراه، ويرتب الخطوات وفق حكمة لا تختل. انظر إلى التاريخ: كم من أمنية تحققت فكانت وبالًا على صاحبها؟ وكم من شيء مُنع عنًّا، فظنناه شرًّا، ثم كان بابًا للرحمة؟

إنَّ الله لا يعطيك بناءً على رغبتك وحدها، بل وفق ما يعلمه من حقيقتك. وقد لا يكون منعه عقوبة، بل حماية لك مما لا تعلم.

ولذلك، ليس السؤال: ماذا نريد نحن؟ بل: ماذا يريد الله لنا؟ وأيهما أنفع؟ وأيهما أبقى؟
وحين يصل الإنسان إلى هذا الفهم، تسقط من نفسه مظاهر التململ، ويهدأ صراعه الداخلي، ويصبح قلبه متعلقًا بالسماء أكثر من تعلقه بالأرض. هنا فقط يعرف أنَّ ما فاته لم يكن له، وأنَّ ما جاءه لم يكن مصادفة، وأنَّ الطريق الذي يسير فيه الآن هو الطريق الذي اختاره له ربٌّ أعلم به من نفسه»[١٠١].

قال مولانا ابن عطاء الله السكندري في حكمته رقم ١٤٥: «إذا وَقعَ مِنكَ ذَنْبٌ فلَا يكُنْ سَبَبًا لَيأسِكَ مِنْ حُصولِ الاسْتِقامَةِ مَعَ رَبكِّ، فقَّدْ يكَونُ ذلكِ آخِرَ ذَنْبٍ قدُّرَ علَيَكَّ».
وقد شرح هذه الحكمة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي قائلا: «يقول لك ابن عطاء الله: إذا وقع الذنب منك بعد توبة متكررة، فلا يبعثن ذلك الذنب في نفسك اليأس من قدرتك على الاستقامة، والإقلاع عن المعصية، مهما تكرر الذنب منك. فإنك لا تدري لعل الذنب الذي تكرر صدوره منك يكون في علم الله آخر ذنب تتورط فيه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٠٢] وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ

[١٠١] نصًا أدبيًا مجهول المؤلف - خواطر أدبية معاصرة متداولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي
[١٠٢] سورة آل عمران آية ١٣٥

حَفِيظٍ﴾[١٠٣] وكلمة (أواب صيغة مبالغة من آيب أي راجع، ولا يكون العبد كثير الرجوع إلى الله إلا إن كان كثير الشرود عنه».[١٠٤]

ولا تنسوا قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ **لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ** وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٥]، و﴿إِنَّ اللّهَ **لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١٠٦]، و﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١٠٧]، و﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٠٨]، و﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠٩]، و﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٠]، و﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[١١١]، و﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[١١٢]، و﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[١١٣]، و﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١١٤]، و﴿فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[١١٥]، و﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١١٦]، **لقد قال تعالى: «ما كتب الله لنا»، ولم يقل «علينا»**.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١١٧]، و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[١١٨]، و﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[١١٩]، و﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٢٠].
وإذا ضاق عليك أمر، فتصدَّق؛ ففي الصدقة تيسير للأمور وراحة للصدور. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[١٢١]، والنتيجة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[١٢٢].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١٢٣].
والله ورسوله أعلم.

---

[١٠٣] سورة ق آية ٣١-٣٢
[١٠٤] الحكم العطائية شرح وتحليل، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الجزء الرابع، صفحة رقم ٤٥-٤٦، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
[١٠٥] سورة الأنفال آية ٥٣
[١٠٦] سورة الرعد آية ١١
[١٠٧] سورة البقرة آية ٢٣٥
[١٠٨] سورة البقرة آية ٢٨٢
[١٠٩] سورة البقرة آية ٢٢٣
[١١٠] سورة آل عمران آية ٦٨
[١١١] سورة الأحزاب آية ٤٣
[١١٢] سورة النساء آية ٦٩
[١١٣] سورة البقرة آية ١٩٧
[١١٤] سورة المائدة آية ٢٧
[١١٥] سورة الأنفال آية ٤٠
[١١٦] سورة التوبة آية ٥١
[١١٧] سورة الزمر آية ٦٢-٦٣
[١١٨] سورة الأنبياء آية ٢٣
[١١٩] سورة الكهف آية ٢٨
[١٢٠] سورة التوبة آية ١٠٥
[١٢١] سورة الليل آية ٥-٦
[١٢٢] سورة الليل آية ٧
[١٢٣] سورة الحج آية ٦٥

«اللهم إنا نسألك أن تسخِّر لنا مددًا من عندك * ونورانياتٍ من عندك * وسبوحاتٍ من عندك * وجنودًا من عندك * وملائكةً من عندك. اللهم سخِّر لنا مددَ ملائكة الثبات والهدوء والسكينة * اللهم سخِّر لنا مددَ ملائكة العلم والتعليم * اللهم سخِّر لنا مددَ ملائكة العلم والفهم * اللهم سخِّر لنا مددَ ملائكة المددَ والإمداد * اللهم سخِّر لنا مددَ ملائكة الفتح والفتوحات. اللهم سخِّر لنا فتحًا واسعًا من عندك لا يضيق أبدًا. اللهم سخِّر لنا نورًا من عندك لا ظلام بعده أبدًا. اللهم سخِّر لنا مددَ حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. اللهم سخِّر لنا مددَ حضرات السادة آل البيت الكرام عليهم جميعا السلام. اللهم سخِّر لنا مددَ حضرة سيدنا الإمام المهدي عليه السلام. اللهم سخِّر لنا مددَ حضرات السادة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا الصلاة والسلام. اللهم سخِّر لنا مددَ حضرة مولانا الخضر عليه السلام. اللهم سخِّر لنا مددَ حضرات السادة أولياء الله الصالحين عليهم جميعا رضوان الله. اللهم سخِّر لنا مددَ الشهداء والصديقين * ومددَ كافة عبادك الصالحين.

اللهم إنا نسألك أن تسخِّر لنا سرعة وعجلة استجابة الدعاء * ظاهره وباطنه * قلبًا ولسانًا * بحق اسمك الأعظم * الذي إذا دُعيتَ به أجبتَ * سُئلتَ به أعطيتَ؛ وبحق أسراره وأنواره المكنونة * بين عزتك وجلالك * وبين حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ وبحق قدر ومقدار وقيمة وجاه حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم * وبحق قدر ومقدار وقيمة وجاه حضرات السادة آل البيت الكرام عليهم جميعا السلام؛ وبحق قدر ومقدار وقيمة وجاه حضرة سيدنا الإمام المهدي عليه السلام؛ وبحق قدر ومقدار وقيمة وجاه حضرات السادة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا الصلاة والسلام.

اللهم إنا سألناك لأنفسنا * فسخِّر ما سألنا لأبنائنا أيضًا * ولأحبابنا * ولإخواننا * ولكل من أتاك إلهنا العظيم بقلب سليم * كما سخِّرت البحر لسيدنا موسى عليه السلام * وسخِّرت النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام * وسخِّرت الجبال والحديد لسيدنا داود عليه السلام * وسخِّرت الرياح والشياطين والجن لسيدنا سليمان عليه السلام * وسخِّر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء * والملك والملكوت * وبحر الدنيا وبحر الآخرة * وسخِّر لنا كل شيء.

اللهم بيدك ملكوت كل شيء * ﴿كهيعص﴾ (ثَلاثًا) * انصرنا؛ فإنك خير الناصرين * وافتح لنا؛ فإنك خير الفاتحين * واغفر لنا؛ فإنك خير الغافرين * وارحمنا؛ فإنك خير الراحمين * وارزقنا؛ فإنك خير الرازقين * واهدنا ونجنا من القوم الظالمين.

وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك * وانشرها علينا من خزائن رحمتك * واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة * ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا * والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا * وكن لنا صاحبا في سفرنا * وخليفة في أهلنا» [١٢٤].

تم بحمد الله في ١٢ ديسمبر ٢٠٢٥

[١٢٤] دعاء من حزب البحر لمولانا أبي الحسن الشاذلي، ودعاء للأستاذ/ محمد عيسى إبراهيم.